جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

المقياس: منهجية وتقنية البحث التاريخي 1
السداسي الثالث
السنة الثانية ليسانس تاريخ

المحاضر رقم 02: تعريف علم التاريخ

تعريف التاريخ:

ذهب المؤرخون إلى إعطاء تعريفات متعددة للتاريخ، لما حملته الكلمة من دلالات ومفاهيم متعددة سواء عند العرب أو الغرب، فعند العرب يكون علم التاريخ جزء من التطور الثقافي العام وصلته بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة وتستحق اهتماما خاصا ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الاسلام، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الاسلام.

يقول أسد رستم في كتابه أنه إذا ضاع الأصول ضاع التاريخ معها، وهي بالتالي قاعدة عامة لا يمكن الجدال فيها، وذلك أن التاريخ لا يقوم إلا على الآثار التي خلفتها عقول السلف أو أيديهم.

من خلال ما سبق ذكره فإنه وجب التطرق أولا إلى ماهية كلمة التاريخ وهي مدلولاتها وأصولها.

إن كلمة التاريخ على الأرجح مشتقة من اللفظ السامي الذي يعني "القمر أو الشهر" وتدل هنا على لفظين تأريخ بإثبات الهمزة ويقابل كلمة استوريوغرافيا (Historiographie) ويفيد مطلق التعريف بالوقت، ويشير إليه السخاوي في كتابه بحسب ما ذكره ناصر الدين سعيدوني:- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ- بأنه يعني الاعلام بالوقت، ويذكره الجوهري بأنه يفيد التعريف بالوقت، وكلمة تأريخ بتسهيل الهمزة، وهو يقابل عادة كلمتي استوارHistoire باللغة الفرنسية ;استوري

History باللغة الانجليزية المأخوذة من اللفظ اليوناني استوريا Historia الذي يفي الرؤية او النظر أو المعنى.

يقول ابن خلدون في مقدمته: "... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو أصيل في الحكمة غريق..."، كلام جميل يعبر عن تعريف وجيز للتاريخ من مؤرخ يعتبر أول من أشار صراحة إلى فكرة التاريخ.

إذا التاريخ هو دراسة الحوادث أو هو الحوادث نفسها، والحوادث جمع حادث والحادث هو كل يطرأ من تغيير على حياة البشر، وكل ما يطرأ من تغيير على الأرض متصلا بحياة البشرية والانسانية.

اما المؤرخ راوس فيرى بأن التاريخ للبحث في المجتمع الانساني وفي حكايته وكيف أصبح الانسان كما هو الآن، كما يذهب ألسير تشارلز فيرث إلى القول بأن التاريخ شيء لا يسهل تعريفه.

وهناك من عرّف التاريخ بأنه فرع عظيم من فروع المعرفة وكتابته فن قديم العهد، ورأى كثير من المؤرخين أن التاريخ هو كيان الأمم، فلا توجد أمة أو دولة إلا ولها تاريخ يرجعون إليه ويتدارسونه ويعولون عليه، ينقلها الخلف من السلف وحاضرها عن غابرها ولولا ذلك لانقطع الوصل.

ومن خلال هذه المعاني والتي حملتها كلمة التاريخ يمكن القول أن لفظ التاريخ يقصد منه عند استعماله السرد المنظم لمجموعة الظواهر الطبيعية سواء أكانت مرتبة ترتيبا زمنيا أو غير مرتبة، وهذا ما يفيده أساسا كلمة التاريخ في الألمانية والتي تعني العلم الذي يبحث في حوادث الماضي ووقائعه، والتي انقضت، وهذا عكس كلمة علوم (Sciences) والتي تعني السرد المنظم للظواهر الطبيعية بالمعاينة والتجربة دون الرجوع إلى الماضي.

وخلاصة القول فإن للتاريخ مفهومين:

- **لغة: التعريف بالوقت.**
- **اصطلاحا: دراسة الماضي ومعرفة وقائعه والبحث فيه واستقصاء حوادثه وسردها.**

أصل الكلمة:

من خلال الكتابات وما ذهب إليه المؤرخون من تعاريف عدة للتاريخ وحسب وجهة كل واحد منهم وما وصل إليه من دراسات، فقد اختلفت الآراء في تفسير معنى كلمة التاريخ وأصلها سواء عند العرب أو الغرب، ويقول المؤرخ السخاوي في كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ بأنه وكما ذكر في التعريف سابقا:" التاريخ في اللغة الاعلام بالوقت" أما الجوهري فقد عرفه على أنه تعريف الوقت والتوريخ مثله، يقال أرخت وورخت، وقيل اشتقاقه من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرها وهو الأنثى من بقر الوحش لأنه شيء حدث كما يحدث المولد، أما أبو منصور الجواليقي فقد ذهب في كتابه المعرب من الكتاب الأعجمي إلى القول: "يقال إن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض، وإنما أخذه المسلمون من أهل الكتاب، و تاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة كتب في خلافة عمر رضي الله عنه، فصار تاريخا إلى اليوم".

وتذهب كتابات أخرى إلى القول بأن كلمة التاريخ مستمدة من الكلمة السامية التي تعني القمر أو الشهر (ذكر سابقا) وهي في الأكادية (أرخو) وفي العبرية (يرخ)، وهذه الكلمة لم تستعمل في العربية .

ويقول المؤرخ روندال إن الاصل التاريخي لكلمة إستوريا الإغريقية (وهي ما تقابل كلمة تاريخ في العربية). ذو أهمية أكبر فعندما نشطت الحركة الفكرية والسياسية نشاطا عظيما في الدويلات الأونية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد كان تعبيرا إستوريا historia يقصد منه البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة.

وعموما إذ يعد التاريخ سجل لمسيرة البشرية وهو المصدر الأساس للمعرفة الإنسانية أو هو ذلك السفر الخالد الذي يحوي بين دفتيه كل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي

مرت بها البشرية منذ العصور الأولى لوجود الإنسان الذي قدر له أن يترك آثاره على الأرض حتى تنتهي الدنيا وما عليها.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يهتم الناس بدراسة التاريخ؟

يهتم الناس بدراسة التاريخ لسببين:

السبب الأول نفسي، برجع إلى عدم قناعة الإنسان بأن تقتصر معرفته على تلك الفترة القصيرة التي يعيشها وحرصه، على أن يتعرف على ما في البشرية أو بدايات بعض القضايا التي يعيشها ومحاولاته تصور مستقبل البشرية.

أما السبب الثاني فهو عقلي، حيث يتميز به بعض الناس، وهو أن تفكيرهم ونظرتهم تاريخية ولذلك فهم يحاولون فهم أحداث التاريخ وتحليلها وتفسير مواقفه الواضحة والاستفادة بما مضى من تجارب التاريخ.

هل التاريخ علم أم فن؟

مع تزايد تقدم الأمم ومنذ قرون مضت ومواكبة للتطور الذي عرفته البشرية التي وضعت أرجلها في مضمار الحضارة رويدا رويدا، أخذ التاريخ يأخذ مكانة ويشكل أساسا في تسجيل الأحداث فليصبح بالتالي المرآة العاكسة لها لأنه يقدم أفكارا مختلفة.

ومع أوائل القرن العشرين وأواخر القرن التاسع عشر اختلف بعض رجال العلم والتاريخ والأدب في وصف التاريخ بصفة العلم أو نفيها عنه.

فالبعض يرى بأنه لا يمكن أن يكون علما لأن يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها العلم له من مشاهدة وتجربة وبالتالي لا يمكن الوصول إلى استنتاج قوانين علمية ثابتة على نحو ماهو متوفر وموجود بالنسبة للعلوم الطبيعية والكيميائية مثلا.

ومن جهته يؤكد د. أحمد زكريا الشلق في كتابه "ما التاريخ وكيف نفسره" أن التاريخ منذ نشأته كان فنا أقرب إلى القص والرواية يرويه القصاصون من جيل إلى جيل شفاهيا أو مدونا يضيف كل منهم إلى وقائعه ما شاء من المبالغة والبلاغة فتختلط الحقائق بالأساطير.

ويوضح الدكتور شلق أنه إذا ما استعرضنا آراء الفلاسفة والمفكرين بشأن هذه القضية فإنه يمكن إبزار إتجاهان:

الأول ينكر أن التاريخ علم ومنهم ويليام جيفونز الأستاذ بجامعة لندن الذي ذكر في كتابه "أصول العلم" أن التاريخ لا يمكن أن يكون علما لأنه يعجز عن إخضاع الحقائق التاريخية لما يخضع له العلم من المشاهدة والفحص وهناك من يرى بأنه فنا وأن المؤرخ فنان يطلق العنان لخياله الغني وموهبته وهناك من له إتجاه آخر حيث يرى بأن التاريخ نوع من الأدب على اعتبار أنه يعني بالتدوين القصصي لمجرى الأحداث.

وبالعودة إلى هذا الإختلاف وللإجابة عن كل التساؤلات المطروحة حول إشكالية التاريخ هل هو علم أن فن نجد أن العلامة ابن خلدون يقول في مقدمته: "أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية...الخ" وبالتالي فإنه بعني هنا بالفن العلم الإنساني وليس أدل على ذلك من إشارته إلى العمران البشري، وكيف حدث.

وخلاصة القول في هذا الجانب أن الدراسة التاريخية تأثرت بالنزعة الطبيعية حيث انعكس منهج العلم الطبيعي على التاريخ، فأصبحت خطوات المنهج التاريخي على النحو التالي:

- منهج تجريبي استقرائي غير مباشر حيث لا يخضع للتجربة.
- حشد مادة تاريخية فيها حصيلة كبيرة من الأحداث التاريخية .
- حصر الحادثة التاريخية المراد دراستها زمانا ومكانا حيث يستطيع الباحث أن يستوفي دراستها.
- الوصول إلى إطلاق أحكام كاملة تمكن من الاستفادة منها حاضرا ومستقبلا.

وبالتالي فإنه يعني فيما ذكره بالفن العلم الإنساني، وليس أدل على ذلك سوى إشارته إلى العمران البشري، وكيف حدث.

مراجع المحاضرة:

- أحمد زكرياء الشلق: ما التاريخ وكيف نفسره؟
- أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ
- صخر عجوز: منهجيات البحث العلمي (محاضرات)
- Learn.univ-oran1.dz
- حسن عثمان: منهج البحث في التاريخ
- عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر: في منهج البحث التاريخي
- أحمد صبحي منصور: درلسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات
- ناصر الدين سعيدوني: منهجية البحث في التاريخ
- علي الحياني: الاقتباس والاستشهاد المرجعي في كتابة البحوث
- نعيمة فهد الوهيب: قواعد في التوثيق والاقتباس